The Evolution of Orientalism
تطور الاستشراق

Haitham Ibrahim Ahmad al-Sharu, Salmah Ahmad
& Muhammad Nur Abdullah

Arabic Studies and Islamic Civilization Department,
Faculty of Islamic Studies, University Kebangsaan Malaysia, Bangi

المؤلف المراسل
arabicartjo@yahoo.com

التمهيد

تسعى هذه الدراسة إلى بيان تطور الحركة الاستشراقية و الطرق الحديثة في عملية الاستشراق ومقارنتها بالطرق أو الأساليب القديمة . وتهدف الدراسة إلى وضع القراء أمام الصورة الحقيقة لعملية الاستشراق وأنها لم تنته مع مرور الزمن وتغيير المسميات واختلاف الطرق والمنهجية المتبعة،مستعينة بأهم المصادر والمراجع من العربية وبعض المصادر الأجنبية والغربية المترجمة إلى العربية،وبيان الفرق بين العملية الاستشراقية الموجهه والحركة الفكرية العلمية البحتة.

وفي هذا كله ما يمهد الطريق أمام الباحثين والقراء للتفريق بين الحركة العلمية الخالصة والاغراض الموجهه واستيعاب المشكلات التي تعتريها. وقد رأت الدراسة أنه آن الاوان للنهوض بدراسة مقارنة لتوضيح الغاية الاساسية لعملية دراسة موروث الشرق اللغوي والأدبي والدين الإسلامي.

وذلك لما تبين لنا في اثناء البحث من اختلاف الغاية من عملية دراسة تراث الشرق بين المستشرقين من جهه وبين من اتبع آرائهم من العرب من جهه أخرى في إنصاف علوم وتاريخ وحضارة الشرق.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نأخذ قسم من المستشرقين يزعم أنهم منصفون وهم قله، مثل هارديان ريلاند ويوهان ج و غوستان لوبون. والغير منصفون والحاقدون من المستشرقيين وهم كثر، مثل مرجليوث مستشرق يهودي متعصب ، وفليب حتى لبناني نصراني أمريكي الجنسية،وهنري لامنس اليسوعي فرنسي حاقد.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، التطور، المحاضرات،الندوات، الاعلام.

ABSTRACT

This study seeks to release the evolution of Orientalist movement and modern methods in the process of Orientalism and comparing the old ways or methods. The study aims to put readers to the true image of the process of Orientalism, and it did not end with the passage of time and change the nomenclature and the different ways and methodology, With the assistance of the most important sources and references from Arab and some foreign and Western sources translated into Arabic, and the statement of the difference between the process of Orientalist oriented intellectual movement purely scientific. In all this it is paving the way for researchers and readers to distinguish between pure scientific movement and intended purposes and absorb riddled with problems. The study was of the view that the time has come for the advancement of a comparative study to clarify the basic end of the process of studying the legacy of the Middle linguistic and literary and Islamic religion. And so what we found during search of the different end of the process of studying the Middle heritage between the Orientalists, and between those who follow the opinions of the Arabs on the other hand in fairness science and history and civilization of the East. For example, not limited to take a section of the Orientalists allegedly Mncefon they are few, such as Hadrian Ryland and Johan G and Gustan Le Bon. And non Mncefon and haters of Almstcherqaan and they are many, such as David Samuel Margoliouth Orientalist a Jewish fanatic, and even Flip a Lebanese Christian, an American citizen, and Henri Lammens French Jesuit spiteful.

Keywords: Orientalism, Evolution, Lectures, Seminars, Media.

المقدمة

قامت الدراسات الاستشراقية بدراسة كل أقسام اللغة العربية، في محاولة الإحاطة التامة بعلوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية الغراء، وعندما وجدوها متصلة ببعضها لايمكن الفصل بينها، قاموا بالتركيز على الشواهد النحوية التي تشمل لغة القرآن الكريم والحديث النبوي، وما تداول من الشعر العربي . انتهت دراستهم إلى التشكيك في صحة القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي. حيث قالوا إن القرآن من تأليف النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث النبوي أخذوا الآحديث الضعيفة والموضوعة، وأما الشعر العربي فقد قالوا أنه منحول. ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى توضيح معنى الاستشراق وأهدافه، وبيان الغاية من دراسة المستشرقين للشواهد النحوية التي تضم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي.

تعريف الاسشتراق

إن لفظ "الاستشراق" مصدر "استشرق" مأخوذ من كلمة (إشراق) ويعني به طلب النور والهداية والضياء. وكلمة "الإشراق" من الشرق حيث نزلت الديانات الثلاث بها اليهودية والنصرانية والإسلام (Alsaid ،2008). ولما كان الإسلام هو الدين المقصود والعرب هم الشعب الموجه لهم هذه الحملة فأصبح معنى الاستشراق البحث عن معرفة الإسلام والمسلمين والعرب وبلاد المسلمين عقيدةً وشريعةً ولغةً وتاريخاً (Matbagani ،1995).

بينما ذكر رودي بارت من الغربيين أن كلمة "استشراق" مشتقة من كلمة "شرق" وتعني مشرق الشمس. ويقصد به علم الشرق، أو علم العالم الشرقي (Rodi Bart ،1925). ومن هنا عرّف البعض بأن الاستشراق هو العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب (Zagzog ،1997). وبناء على هذا أكد مازن مطبقاني أن الاستشراق هو:

> "كل ما يصدر عن الغربيين وأمريكيين من إنتاج فكري وإعلامي وتقارير سياسية واستخباراتية حول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن.....وما يكتبه النصارى العرب من أقباط ومارونيين وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ويلحق به أيضاً ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين وتبنوا كثيراً من أفكار المستشرقين." (Matbagani ،1995).

ويبدو مما سبق أن الاستشراق يقصد به كل ما يصدر عن الغرب وغير المسلمين من دراسات وأبحاث تتناول قضايا الإسلام والمسلمين والشرق، في العقيدة والشريعة واللغة والأدب والفن والحضارة والتاريخ، وفي المجتمع وفي السياسة أو الفكر، كما أن من الاستشراق ما يقرّره الباحثون والسياسيون الغربيون في ندواتهم ومؤتمراتهم.

أهداف الاستشراق

هناك أهداف كثيرة للاستشراق منها:

1) تشويه الدين الإسلامي

إن عملية الاستشراق بدأ بتشجيع من الكنيسة ورجال الدين. ويعد الاهتمام الديني أول أهداف الاستشراق وأهمها على الإطلاق. حيث رأى النصارى وبخاصة رجال الدين منهم أن الإسلام عندما اكتسح المناطق التي كانت للنصرانية أقبل كثير من النصارى على الدين الإسلامي لما يرونه بعيدًا عن التعقيدات وطلاسم العقيدة النصرانية، وأنه نظام كامل للحياة، فخافوا على مكانتهم الاجتماعية والسياسية في العالم النصراني فكان لابد أن يقفوا في وجه الإسلام حيث إنه ليس في الإسلام طبقة رجال دين أو أكليروس كما في النصرانية (1413هـ، Asef).

فهدف الاستشراق إذن هو معرفة الإسلام ومحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه. وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية، وكان هدفها الأول تنفير النصارى من الإسلام (1413هـ، Asef). ولذلك فإن الكتابات النصرانية المبكرة كانت من النوع المتعصب والحاقد جداً حتى إن بعض الباحثين الغربيين في العصر الحاضر كتب نقداً عنيفاً لاستشراق العصور الأوروبية الوسطى من أمثال نورمان دانيال (Norman Daniel) في كتابه *الإسلام والغرب (السنة، ص)*. حيث ذكر أن أسباب حقد النصارى وسوء فهمهم للإسلام بسبب خوف الرهبان والقساوسة على مكانتهم وإقبال النصارى على الدين الإسلامي. ومازال الأمر يؤثر في موقف الأوروبيين من الإسلام حتى الآن بالرغم من عقد المؤتمرات والندوات والحوار حول الأديان واحترام الرأي والفكر كمؤتمر عمان التحسن العظيم الحديث في الفهم (1415هـ، Sahifit Uokad). وقد أشاد به بعض المسلمين مثل وليد نوهيض.

وأوروبا لم تتمكن أن تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية. وهذا ما أكد به بعض زعماء أوروبا "أنه إذا كانت

أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته" (Sorthon ،1984) أي دراسة اللغة العربية وعلومها.

2) تشويه العلوم العربية والإسلامية

وبالرجوع إلى قوائم الكتب العربية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية نرى الغربيون لم يتركوا مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها، وأخذوا منها. كترجمة سيل للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، وترجمة كتاب *الأغاني للأصفهاني* ، *والمغني* لليسوطي ، أمثال تلك الكتب قد تناوله الغرب بالدراسة والتحليل. لذا على الأمة الإسلامية كما أشار المستشرق الأماني رودي بارت (Rudi Paret) في كتابه Mohmmed und der Koran ... الذي قام بترجمته رضوان السيد وسماه *محمد والقرآن* (Rodi Bart ،2008) أن تقوم بدراسة الغرب في العصر الحاضر، حتى تصل إلى معرفة الإنجازات العلمية التي توصل إليها الغرب عبر قرون من البحث والدراسة والاكتشافات العلمية والاستقرار السياسي والاقتصادي.

يبدو مما سبق أن الهدف العلمي لم يكن السبب الرئيسي للاستشراق بل كان مظهرا أو غطاءا لهذه العملية. ويتضح ذلك من خلال التاريخ، حيث أن الحركة العلمية في زمن الخلافة الأموية والعباسية كان على قدر عالي من الرقي والسمو، وآثارهم تشهد على ذلك، وكانت الدولة العربية الإسلامية آن ذاك قوية ، لذلك لم نرى أي سعي حثيث من قبل الغرب للحصول على علوم العرب ومعرفة ثقافتهم، ولكن الفترة الذهبية لدراسة علوم العرب في فترة الضعف من الخلافة العثمانية ،وهذا يبين الهدف الاساسي لهم لان العلم وطلب المعرفة ليس لة زمان. لان الدولة الاسلامية في تلك الفترة ضعيفة غير قادرة على الرد ما يحاك في الخفاء ضدها، وان خلف تلك الحملات قوة تساندها وتمهد الطريق أمامها وتذلل الصعاب التي قد تواجهها، حيث لا يوجد من يوقفهم من العلماء او من القوة العسكرية.

3) نشر السياسة الاستعماريه للدول العربية.

لقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية الاستعمارية للدول الغربية فقد سار المستشرقون في ركاب الاستعمار وهم كما أطلق عليهم الأستاذ محمود شاكر –رحمه الله– "حملة هموم الشمال المسيحي– فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها. وقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين المستعمر والمستشرق فقد كان كثير من الموظفين الاستعماريين على دراية بالشرق لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً. وقد أصدر – على سبيل المثال– مستشرق بريطاني كتاباً من أربعة عشر مجلداً بعنوان: (دليل الخليج: الجغرافي والتاريخي) وكان الموظف الاستعماري لا يحصل على أي وظيفة في الإدارة الاستعمارية ما لم يكن على دراية بالمنطقة التي سيعمل بها.

واستمر الارتباط بين الدراسات العربية الإسلامية وبين الحكومات الغربية حتى يومنا هذا بالرغم من أنه قد يوجد عدد محدد جداً من الباحثين الغربيين دفعهم حب العلم لدراسة الشرق أو العالم الإسلامي. ومن الأدلة على هذا الارتباط تأسيس مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، قد أُسّسَت بناء على اقتراح من أحد النواب في البرلمان البريطاني. كما أن الحكومة البريطانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عندما رأت أن نفوذها في العالم الإسلامي بدأ ينحسر قامت بالاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية، حيث كلفت الحكومة البريطانية لجنة حكومية برئاسة الإيرل سكاربورو (Scarbrough) لدراسة أوضاع الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية. ووضعت اللجنة تقريرها حول هذه الدراسات وقدمت فيه مقترحاتها لتطوير هذه الدراسات واستمرارها.

وفي عام 1961 كونت الحكومة البريطانية لجنة أخرى برئاسة السير وليام هايتر (Sir William Hayter) لدراسة هذا المجال المعرفي ، وقامت اللجنة باستجواب عدد كبير من المتخصصين في هذا المجال. كما زارت أقسام الدراسات العربية والإسلامية بتموين من مؤسستي روكفللر وفورد (Mutamar Ttrabuls ،1975) بعض الجامعات البريطانية والجامعات الأمريكية والكندية بقصد التعرف على التطورات التي أحدثوها في هذا المجال.

ومما يؤكد ارتباط الدراسات العربية الإسلامية بالأهداف السياسية الاستعمارية –رغم انحسار الاستعمار العسكري– أن الحكومة الأمريكية موّلت عدداً من المراكز للدراسات العربية

الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية، وما زالت تمول بعضها إما تمويلاً كاملاً أو تمويلاً جزئياً وفقا لمدى ارتباط الدراسة بأهداف الحكومة الأمريكية وسياستها.

كما استضاف الكونجرس وبخاصة لجنة الشؤون الخارجية أساتذة الجامعات والباحثين المتخصصين في الدراسات العربية الإسلامية لتقديم نتائج بحوثهم وإلقاء محاضرات على أعضاء اللجنة ، كما نشر الكونجرس

هذه المحاضرات والاستجوابات نشراً محدوداً لفائدة رجال السياسة الأمريكيين (1985، Muhadrat Alkongros).

4) نشر الثقافة الغربية

إن أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية انطلاقاً من النظرة الاستعلائية التي ينظر بها إلى الشعوب الأخرى. ومن أبرز المجالات الثقافية نشر اللغات الأوروبية – كالفرنسية في المغرب– ومحاربة اللغة العربية. وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي. وقد نشط الاستشراق في هذا المجال أيما نشاط. فأسس المعاهد العلمية والتنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي مثل معهد الفرنسي ... وسعى إلى نشر ثقافته وفكره من خلال هؤلاء التلاميذ. وقد فكّر نابليون في ذلك حينما طلب من خليفته على مصر أن يبعث إليه بخمسمائة من المشايخ ورؤساء القبائل ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا "يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة الفرنسية، ويعتادون على تقاليدها ولغتها، وعندما يعودون إلى مصر، يكونون حزبًا يضم إليه غيرهم. ولم يتم لنابليون ذلك (Shaker ،1987).

وعندما جاء محمد علي أرسل بعثة من أبناء مصر النابهين إلى فرنسا يقودهم رفاعة رفعت الطهطاوي. وعودهم إلى مصر يكونون كما يقول محمود شاكر "أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا ... وكانوا حزباً لفرنسا وعلى مر الأيام يكبرون ويتولون المناصب صغيرها وكبيرها، ويكون أثرهم أشد تأثيراً في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام في مصر" (Shaker ،1987).

الاستشراق والشواهد النحوية

يعد الشواهد النحوية الأساس الذي يقوم عليه النحو العربي وأصوله. وتأتي كلمة "الشواهد" في اللغة جمع "شاهد" بمعنى من يؤدي الشهادة، وبمعنى الدليل (Bill ،1989). واصطلاحا هو: قول عربي شعراً أو نثرا قيل في عصر الاحتجاج، يورد للاحتجاج به على قول أو رأي أو قاعدة لغوية (Jaber ،1992). ويساق "الشاهد" لإثبات صحة القاعدة. وهو بذلك يختلف عن مفهوم "المثال" الذي يأتي كدليل وتوضيح على القاعدة النحوية (Allibdi ،2011).

والشواهد النحوية التي حددها العلماء من أجل الاستدلال على قضية من قضايا اللغة العربية هي القرآن الكريم والحديث النبوي الشرف، والشعر العربي.

أ) القرآن الكريم

مع بزوغ فجر الإسلام، بدأ خصومه في محاربته بغية استئصال شأفته، ورأوا أن النيل منه يمر بالضرورة عبر تكذيب المصطفى الأمين، والتشكيك في القرآن الكريم، وفي نسبته إلى الله رب العالمين، هكذا فكرت قريش ومن والاها. حيث قالوا عن القرآن الكريم قول شاعر، ورد الله سبحانه وتعالى:

(Al-Quran ،69: 36)

وإلى هذا ركن المستشرقون، حيث بذلوا قصارى جهودهم من أجل غرس هذه الأوهام في أذهان الناس. فنشروا في ذلك ما لا يحصى من الدراسات وألّفوا آلاف الكتب والمؤلفات، منذ أن أمر رئيس رهبان دير كلوني بطرس المبجل (Peter The Venèrable) الراهب اللاهوتي الفرنسي، بوضع اللبنة الأولى للحركة الاستشراقية، وذلك بأمر من الراهب الإنكليزي (روبرت الكيتوني) الذي كان يدرس آنذاك الفلك العربي والرياضيات في إسبانيا، أن يترجم القرآن إلى

اللاتينية وأجزل له العطاء (Badawi ،1925)، بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية، الأمر الذي تحقق عام 1143م.

لم يكن بطرس "المبجل" يهدف من وراء هذه "الترجمة" إلى الاطلاع على كتاب المسلمين ومعرفة تعاليم ديانتهم فقط، وإنما كان الهدف تنصيريا بحتا، واعترف بهذا المستشرق صموئيل زويمر بأن هذه الترجمة تمت بدافع تنصيري، وتحت تأثير الروح التنصيرية لدى بطرس المبجل(Gorab ،1411). وذكر الباحث عزوزي حسن عند دراسته للاستشراق بأن ما فعله بطرس المبجل لم تكن ترجمة فقط وإنما أضيف إليها هجوم وقدح في الإسلام والقرآن الكريم في شكل مساجلات كانت تقحم أثناء الترجمة، ولا تلتزم بدقة وحرفية بالنص، ولا تلتزم بترتيب الجملة في الأصل العربي، وإنما تستخلص المعنى العام في أجزاء السورة الواحدة ثم تعبر عن هذا بترتيب من عند المترجم(Azoni،1999).

ومنذ ذلك الحين توالت الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم نافثة زعاف سمومها، كاشفة عظيم حقدها على الإسلام والقرآن. فقد دأب المستشرقون على تصدير مترجماتهم بمقدمات ومداخل تستعرض الإسلام ورسالته، ومضمون القرآن ومصدره، وتاريخ جمعه وتدوينه على النحو الذي يخدم مخططاتهم ويبرهن على حقيقة ما يروجونه من مغالطات وأكاذيب. كما فعل جورج سيل (G.Sale) في ترجمته الصادرة عام 1734م. حيث بدأ بمقدمة طويلة شن فيها هجوما عنيفا ومضللا على القرآن المجيد، وكذلك ادعى أن القرآن ليس وحيا، وليس معجزا، وأنه مستمد في معظمه من اليهودية، ليس في موضوعاته فحسب، بل وكذلك في تقسيمه إلى أجزاء وأحزاب، وإلى سور وآيات. كما وصف محمدا عليه الصلاة والسلام بأنه مؤلف القرآن. يقول سيل:

"أما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح – مع ذلك – أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة" (Al-Iiban ،1970).

وبعد كل هذه الأباطيل والادعاءات الكاذبة، لم يجد جورج سيل أية غضاضة في الاعتراف بأن الهدف من ترجمته القرآن الكريم هو تسليح البروتستانت في حربهم التنصيرية على

الإسلام والمسلمين، لأنهم وحدهم قادرون على مهاجمة القرآن بنجاح (1966، Al-Samiraai).

ورغم هذا التحامل المفضوح فإن ترجمة "سيل" تعد –عندهم– من أهم الترجمات الاستشراقية، حيث أعيد طبعها أكثر من ثلاثين مرة، ولقيت صدى طيبا في أوساط المنصرين الحاقدين المستشرقين المغرضين. وها هو المستشرق المنصِّر صمويل زويمر يثني على ترجمة "سيل" ويقول إنها مع مقدمتها ستظل ذات قيمة مهمة بالنسبة للمستشرقين(1410هـ، Tebawi). بينما رفع المستشرق مونتغمري وات من قيمة هذه الترجمة، ووصف مقدمتها بأنها "وصف موضوعي للإسلام" (2002م، Wat). ومن خلال الحكم على ترجمة "جورج سيل" بالموضوعية، رغم بعدها الكبير عن المعايير الأكاديمية المتحررة من الانحياز والذاتية الخلفيات الأيديولوجية، يفصح لنا عن حقيقة الموضوعية التي ينشدها الاستشراق، أو بالأحرى غالبية المستشرقين، حتى لا نشتطَّ فنسقط في شرَك التعميم.

وقد نجد أكثر المستشرقين متفقين مع "سيل" حول افتراءاته على القرآن الكريم والقول ببشرية مصدره، إذ يركبون نفس الموجة، ويجتر اللاحق منهم ادعاءات السابق. يقول ريتشارد بيل (R.Bell): "محمد قد ألف القرآن من عنديته. واعتمد في معلوماته على القصص التاريخية مثل عاد وثمود"، (1989م، Bill).

وهذه الترجمة رغم ما تشتمل من التزييف، فقد اكتسبت بدورها مصداقية لدى المستشرقين، مثل مونتغمري وات (M.Watt) قد اعتمد عليها في تأليف كتابه الشهير *محمد في مكه*. (2002، Watmogomri) قد حاول "وات" في هذا الكتاب أن يوهمنا بموضوعيته حين يصرح بأنه سيناقش الإسلام بحيادية بأسلوب لا ينكر أية عقيدة من عقائد المسلمين. إلا أن هذه الحيادية سرعان ما تتبدد، حين يعمد إلى إعادة إنتاج مقولات أسلافه عن القرآن الكريم، حيث يشير في كثير من تعليقاته، تصريحا وتلميحا إلى أن القرآن ليس معجزا. وأن مصدر القرآن ليس هو الله. وأن محمد صلى الله عليه وسلم كان لديه أسلوب أو آخر لتصحيح النص القرآني باكتشاف الصيغة الصحيحة لما أوحي إليه ناقصا أو غير صحيح. لا يقف وات عند هذا الحد، بل وصل به إلى التشكيك في عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم، زاعما أن التوحيد الذي كان

يؤمن به محمد كان في بدايته لا يختلف عن توحيد من هم أكثر تنورا في عصره، أي أنه كان توحيدا غامضا على نحو ما. بمعنى أنه لم يكن ممكنا في مرحلة مبكرة فصل التوحيد الخالص عن الإحساس بوجود كائنات أخرى ذات طابع إلهي أو مقدس (Wattmogomri ،2002).

وجاء مستشرق آخر، كثيرا ما وصف بالباحث الموضوعي، والتي لا تختلف في شيء عن موضوعية مونتغمري وات، وهو المستشرق كارل بروكلمان، الذي أسدى جليل الخدمات للعرب والمسلمين، حيث تحدث في كتابه *تاريخ الشعوب الإسلامية* فصلا عن تعاليم الإسلام، أعطى فيه صورة مشوهة لأركان الإسلام الخمسة، مدعيا أن معظمها قد اقتبسه النبي من التوراة والإنجيل وعادات الأمم الغابرة. فاليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب فكرة يهودية نسج النبي حولها كثير من الأوهام والأكاذيب. والصلاة طقوس فارسية. وتقبيل الحجر الأسود عبادة وثنية (Aldusogi ،1995)

ولم يكتف المستشرقون بما أوردوه من شبهات حول القرآن الكريم، بل جاء شيخ المستشرقين تيودور نولدكه بكتابه *تاريخ القرآن* الذي يعد أصلا من أصول الثقافة الاستشراقية، فقد ضم بين دفتيه كل الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم. ومداره أن القرآن لم يرتّب حسب تاريخ النزول. وأن القرآن ليس بمعجزة لأن فواتحه مثل:حَم، وطَسم، والم، ويس، وكهيعص...إلخ مأخوذة عن التوراة، متأثرا بيهود المدينة (Watmogomri ،2002).

أما الصهيوني برنارد لويس، شيخ المستشرقين الجدد، فقد زعم أن المصطفى صلى الله عليه وسلم خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية، وأنه لم يأخذ قصص القرآن من الكتاب المقدس مباشرة، وإنما أخذها بطريقة غير مباشرة من التجار والرحالة اليهود والنصارى (Al- ،1988 Asad)

وأن أهل الحديث المتأخرين قد تجنبوا المعنى الحقيقي للفظة "ما أقرأ" التي رد بها النبي الكريم على جبريل عليه السلام في أول نزول الوحي حين طالبه بأن يقرأ، واعتمدوا الرواية الأخرى التي تقول "ما أنا بقارئ"،" ليعززوا الاعتقاد بأن محمدا لم يكن يستطيع الكتابة، و هذا الاعتقاد جزء من إثبات الطبيعة المعجزة للقرآن (Abd Alrahman ،2002)، ويستمر "وات" في كتابة (*محمد في مكة*) حين يطرح فرضية إمكانية تدخل النبي صلى الله عليه وسلم لتصويب

الوحي؟ ورغم أنه يصبو هنا إلى أن يوهمنا بأنه يعتبر أن القرآن كتاب سماوي وأن النبي عليه السلام لا يتدخل إلا لإضافة شيء ما إليه أو حذفه منه، إلا أن الواضح هو انه يغمز إلى أن مصدر القرآن ليس هو الله تعالى،لأن ما يصدر عن الله لا يمكن أن يشوبه نقص، أو يحتاج إلى تصويب بشر.يقول "وات": "لا بد أن محمدا قد ميز بشكل واضح بين ما يأتيه وحيا –كما يعتقد– وبين ما ينتجه عقله الواعي.أما كيف كان يميز بينهما، فهذا أمر غير واضح تماما، لكن الحقيقة التي صنعها محمد مؤكدة كأي شيء في التاريخ.إننا لا نستطيع بأي درجة معقولة أن نتخيله يقحم آيات من تأليفه بين الآيات الموحاة إليه (الآيات الآتية إليه من مصدر خارج عن شعوره كما يعتقد). وعلى أية حال، فربما يكون محمد قد فعل شيئا في الوحي المنزل عليه كإعادة ترتيب الآيات الموحى بها، وربما يكون قد حاول أن يصوب النص إذا أحس أن النص الموحى به يحتاج إلى إصلاح". الواضح هنا، هو أن "وات" يصور الأمر وكأنه يتعلق بفرضية،أي ربما يكون النبي عليه السلام قد حاول أن يصوب النص وربما لا،غير أنه يعود في موقع آخر من الكتاب ليؤكد حقيقة موقفه حين يقول:"ويبدو مؤكدا أن محمدا كان لديه أسلوب أو آخر لتصحيح النص القرآني باكتشاف الصيغة الصحيحة لما أوحي إليه ناقصا أو غير صحيح".

وحتى نعرض الحقيقة أكثر، نعرض لأفكار ولم تكن آراء شيخ المستشرقين "تيودور نولدكه" لتغرد خارج السرب، فكتابه "*تاريخ القرآن*"، والذي يعد أصلا من أصول الثقافة الاستشراقية، ضم بين دفتيه كل الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم، ومداره حول أن القرآن لم يرتّب حسب تاريخ النزول، وهذه مسألة استعارها "نولدكه" من المستشرق "فلوجل"، والمعلوم أن القرآن لم يرتَّب وفق أسباب النزول، وإنما وفق الوحي، بمعنى أن الترتيب كان توقيفيا. وكان من بين ما أثاره "نولدكه" في هذا الكتاب كون "القرآن ليس بمعجزة لأن فواتحه مأخوذة عن التوراة"،معضدا بذلك رأي المستشرق "لوت" الذي زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم مدين بـ"فكرة" فواتح السور من مثل:حَم، وطَسم،و الم، و يس، وكهيعص... إلخ، لتأثير أجنبي يرجح أنه تأثير يهودي، اعتقادا منه أن السور التي استهلت بهذه الفواتح مدنية خضع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم لتأثير يهود المدينة.ولو أنه كلف نفسه مهمة التدقيق في الأمر لعلم أن سبعا

و عشرين سورة من تلك السور التسع والعشرين مكية، وأن اثنتين فقط من السور مدنية و هما سورتا البقرة وآل عمران (Galaab ،2008).

كل هذه المزاعم تصب في اتجاه واحد، و تقصد الترويج لأمر واحد: محمد بن عبد الله ليس نبيا، و القرآن ليس كتابا سماويا، و إنما هو من ألفه بعدما استعار ما استعاره من التوراة و الإنجيل و تعلم ما تعلمه من بحيرى أو من غيره؟.إذ "يزعم المستشرقون أيضاً أن محمداً تعرف على النصرانية من بحيرى الراهب في رحلته التجارية إلى الشام. وقد تمثل محمد في نفسه ما سمعه من بحيرى الراهب وما عرفه من أتباع اليهودية، وخرج على الناس يعلن دينه الجديد الذي لفّقه من الدينين الكبيرين.

وهذه كلها مزاعم واهية لا حظ لها من العلم ولا سند لها من التاريخ ، وإنما هي تخمينات وافتراضات يضعها أصحابها كما لو كانت حقائق ثابتة لا تقبل الجدل. وقد تناول الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله في دراسته القيمة (*مدخل إلى القرآن*) "جميع الافتراضات المتعلقة باحتمال وجود مصدر بشري للقرآن. وناقشها مناقشة علمية ،وأظهر زيفها وبطلانها، وانتهى إلى القول بأن: "جميع سبل البحث التي وقعت تحت أيدينا وناقشناها ثبت ضعفها وعدم قدرتها على تقديم أي احتمال لطريق طبيعي أتاح له (أي للنبي صلى الله عليه وسلم) فرصة الاتصال بالحقائق المقدسة. ورغم الجهد الذهني الذي نبذله لتضخيم معلوماته السمعية ومعارف بيئته ، فإنه يتعذر علينا اعتبارها تفسيراً كافياً لهذا البناء الشامخ من العلوم الواسعة والمفصلة التي يقدمها لنا القرآن الكريم في مجال الدين والتاريخ والأخلاق والقانون والكون...إلخ" (Daraz ،2010).

فلم يبق إلاّ أنه وحي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أرسله رحمة للناس أجمعين" (Galab ،2008)، أما افتراءات المستشرقين فلا تصمد أمام النقد العلمي لها.

2) الحديث النبوي.

من أبرز الطعون في هذا المجال أن اختار المستشرقون الوقوف إلى جانب الرأي القائل بأن السنة لم تلقى أي تدوين، واحتجوا لذلك بوجود بعض الأحاديث التي تسمح بكتابة الحديث بينما يعارض بعضها الكتابة، وقد وصل العلماء المسلمون إلى أن المنع عن الكتابة كان في أوائل الدعوة الإسلامية حتى لا تختلط السنة بالقرآن الكريم، وأن السماح بالكتابة هو الأغلب وقد وجد من الصحابة الكرام ،و من قام بالكتابة، ووجدت عدة صحف تحتوي على عدد كبير من الأحاديث. (Majma Logawi ،2002م)

وأضاف المستشرقون سبباً آخر لفقدان الحديث أو وقوع الوضع فيه أو التزييف كما يقولون هو الصراعات السياسية بين فئات المجتمع بحيث لجأت بعض الفرق –وهم يزعمون أن كل الفرق فعلت هذا– إلى الوضع في الحديث، كما إن تطور الظروف الاجتماعية ودخول ثقافات أخرى إلى حياة المسلمين كالتأثر بالفرس والرومان والثقافة اليونانية والنصرانية واليهودية أدى إلى دخول كثير من الأفكار الدخيلة إلى الحديث النبوي الشريف (Zagzog ،2008).

وزعم المستشرقون أيضا أن الوضع في الحديث قد تأثر بتطور الحياة واحتياج المسلمين إلى تشريعات تواجه هذه التطورات فلجأوا إلى الوضع، ويزعمون أن الحديث الشريف لم يكن له حجية كاملة في بداية الدولة الإسلامية حيث اكتفى المسلمون بالقرآن الكريم، ولكن هذه التطورات جعلتهم يلجأون للحديث الشريف، فإن لم يجدوا رواية لحديث في المجال الذي يريدون قاموا بوضع الحديث. وقد أضاف بعض المستشرقين أن الوضع يكون أحياناً لأهداف شخصية (Ajag ،1979).

أسماء العلوم التي وضعها علماء هذه الأمة الخاصة بالحديث الشريف ومنها علم مصطلح الحديث، وعلم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، وعلم مشكل الحديث، وأسباب ورود الحديث، والناسخ والمنسوخ في الحديث الشريف وغيرها. فهذه العلوم بما تحويه مكتباتنا من مجلدات ضخمة فيها تدل دلالة واضحة على الجهود العجيبة التي بذلها المسلمون للمحافظة على الحديث الشريف.

أما مسألة الحفظ هذه المدة الطويلة فقد أوتي العرب ملكة الحفظ حيث كانوا يحفظون آلاف الأبيات من الشعر، ويحفظون الأنساب، ويحفظون أيام العرب وتواريخهم، وهذه الملكة

تقوى مع الاستخدام والتدريب، ولما كانت العرب في الغالب أمة أمية فقد لجأوا إلى الحفظ، وقد أثبت التاريخ هذا الأمر في مجال الحديث بصفة خاصة وحتى يومنا هذا، فكم عدد النصارى الذين يحفظون كتابهم "المقدس" في مقابل الأعداد الغفيرة من المسلمين الذين يحفظون القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي الشريف (Aladami ،1980).

أما في الماضي فقد كان عالم الحديث الذي ينال لقب "حافظ" وكانوا كُثراً، فكان يحفظ آلاف الأحاديث بأسانيدها، ولو رجعنا إلى الاختبارات التي دخلها بعض علماء الحديث في مسألة الحفظ لذهلنا من هذه القدرة العجيبة، فقد قرأ على الإمام البخاري رحمه الله تعالى مئة حديث مقلوبة الأسانيد فأعاد كل حديث إلى سنده، وقد روي أن الإمام أحمد بن حنبل كان يجعل ابنه يحفظ الأحاديث الموضوعة أولاً ثم يقول له هذه موضوعة فابدأ الآن بحفظ الأحاديث الصحيحة.

وبالإضافة إلى هذه القدرة العجيبة في الحفظ فثمة مسألة أخرى وهي تمسك المسلمين بدينهم وحبهم لحديث رسول الله. والدليل على ذلك أن كثيراً من علماء الحديث أنفقوا أعمارهم في دراسة الحديث والرحلة في طلب الحديث، وقد اعترف بعض المستشرقين بهذه الجهود، وكيف لا يحرص المسلمون على حديث رسول الله وهو الأصل الثاني من أصول الشريعة الإسلامية،والحديث هو حديث نبيهم وحبيبهم.

وأما ما يدعوه أن مسألة تطور الحياة الاجتماعية في الدولة الإسلامية مما أدى إلى الحاجة للحديث فبدأ المسلمون في البحث عن التشريعات في القرآن الكريم فإن لم يجدوا بحثوا عن الحديث فإن لم يجدوا حديثاً وضعوه فهذا والله منتهى السخف من المستشرقين، فقد كان الحديث موجوداً دائماً، والترتيب في البحث عن أدلة الأحكام إنما هو بترتيب أهمية هذه الأدلة، ولو لم يكن الحديث موجوداً لما عرفنا الحديث الذي يقول (عليكم بكتاب الله وسنتي، لا يزيغ عنهما إلاّ هالك) وفي حديث آخر (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ).

ومن افتراءات المستشرقين على الحديث الشريف زعمهم أن علماء الحديث اهتموا بالسند أكثر من اهتمامهم بمتن الحديث، وأضافوا أنه من السهل على أي شخص أن يأتي بالسند الذي يرغب ويضيف له ما يشاء من كلام.

ويقول ساسي سالم الحاج في كتابة (*الظاهرة الاستشراقة*) في الرد على هذه الفرية "يبدو للباحث منذ الوهلة الأولى اهتمامهم بسند الحديث أكثر من اهتمامهم بمتنه، ولكن الحقيقة عكس ذلك، فهم عندما قسّموا الأحاديث إلى صحيحة وحسنة فإنهم في الحقيقة تناولوا السند والمتن معاً أو السند دون المتن أو المتن دون السند، وعند حديث العلماء عن الحديث المعلل فإنهم لم ينفوا تعليل المتن، فقالوا "لايطلق الحكم بصحة حديث ما لجواز أن يكون فيه علة في متنه، وقد جاءوا بشواهد كثيرة على ذلك".

ان اختلاف الغاية دراسة الحديث النبوي من قبل المستشرقيين وضعهم أمام مفترق طرق، حاولوا التخلص منه بعدة أشكال، فهل يكون المستشرق منصف وباحث علمي ام يبقى على فكره وحكمه المسبق المعادي من الأساس للعرب والمسلمين، ولذلك كان التخبط في الدراسات والتناول والتحليل وحتى في الوقائع التاريخية، فتارة نراهم يشككون في صحة الحديث وتارة في نسبة الحديث للنبي محمد صل الله علية وسلم، وتارة في صدق الصحابة، وتارة في التدوين، وكما نعلم ان العملية العلمية بحاجة إلى استقرار من أجل جمع العلوم وتدوينها وحتى منتصف الخلافة الأموية والهم الشاغل الفتوحات الاسلامية والجهاد.

في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين كانت الأسباب قد توفرت ليأخذ التدوين شكله الرسمي ونهض بهذا العمل الخليفة الخامس، عمر بن عبد العزيز الذي كان حريصا على حديث رسول الله صل الله علية وسلم، أن يتهدده الضياع من كثرة الشوائب وموت العلماء.

وكان رحمه الله على معرفة تامة بأهل زمانه وعلماء عصره مما جعله يختار لهذا العمل رجلا من خيرة رجال العلم والقضاء. فكتب إلى أبي بكر ابن حزم (*دروس العلم وذهاب العلماء*) كما كتب الخليفة الزاهد إلى عماله في باقي المقاطعات الإسلامية، يوصيهم بجمع الحديث، وممن كتب إليهم محمد بن شهاب الزهري أحد الأئمة الأعلام، فكان أول من دون الحديث بأمر

الخليفة ابن عبد العزيز. ثم واصل لعلماء من بعده عنايتهم بالحديث النبوي حفظا ودراسة وتدوينا، فقطعوا الفيافي وهجروا الأهل ولأوطان في سبيل سماع أحاديث الرسول صل الله علية وسلم، من منابعها الصافية الصحيحة. والرحلة في طلب الحديث لم تكن متاجرة بالحديث النبوي، كما يدعي بعض المستشرقين– بل كان لها بالغ الأثر في معرفة طرق كثيرة للحديث الواحد. علاوة على ذلك نهض العلماء بمهمة الحديث المقبول من المردود وبحثوا في الرواة من حيث عدالتهم وضبطهم، وتكلموا فيهم تعديلا وتجريحا. كما تكلموا في الإسناد من جهة الانقطاع والاتصال والإرسال وشتى الأمور المخلة بالعدالة والضبط سالكين في ذلك أحدث الطرق العلمية للنقد والتمحيص، فلولا الجهود التي يبذلوها لاشبه على كثير من الناس بعض أمور دينهم لكثرة ما اختلقه الكذبة الوضاعون ونسبوه إلى رسول الله صل الله علية وسلم، – زورا وبهتانا (Albagdadi ،2009).

3) الشعر العربي

الشعر العربي ديوان العرب، وكان العرب تستدل على الحوادث والتاريخ من خلال التخليد في القصائد و التفاخر بها على مر العصور وخصوصا في العصر الجاهلي، وقد تناول الباحثون هذه الأشعار على مر العصور بالدراسة والتحليل والنقد، لأن الشعر قل في صدر الإسلام بسبب اسلام الشعراء أو انصراف الناس إلى العبادة والقرآن والحديث، ويعد المستشرق ديفد مرجليوث اشد المستشرقين في صحة الشعر الجاهلي حيث قال ان الشعر العربي منحول و وان هذه الاشعار في الاصل تعود إلى عاد وثمود (Marjelyooth ،1925).

وذهب المستشرق الفرت من خلال دراسة عدد من القصائد العربية القديمة، (مثل الحماسة) لأبي تمام أو الكتب التي تتلعق بأقدم الآثار الأدبية مثل كتاب (الأغاني)، أو (المغني) لليسوطي، سيجد مقدار كبير من تلك القصائد القديمة حينا إلى هذا الشاعر وحيننا إلى هذا الشاعر، وحيننا آخر إلى شاعر آخر، ومن ذلك تبين كثير من الشك يسود تلك القصائد (Gorab ،2010).

ومن خلال البحث يتبين ان المستشرقون دائما يحمون حول موضوع مهم بالنسبة لهم، وأنه موضوع يمكن ان ينفذوا منه ألا وهو التدوين، فكيف للعربي أن يقوم بحفظ هذا الكم الهائل من الاشعار على مدى عقود وان ينتقل الشعر من زمان إلى زمان دون نقص او زيادة او تحريف، فهو مخالف لاعتقادهم ومخالف لحياتهم وأذهانهم وطرق عيشهم، فقد كان المقياس الذي يحتكمون الية هو واقعهم، حيث لايوجد عندهم من يحفض الأشعار أو ليس عندهم مثل القصائد الطوال وان الشاعر يحفض لغيره من الشعراء، فانكروا ذلك وشككو به، وكان الأولى ان يروا حياة العرب وان الذاكرة والحفض عندهم سليم لا تشوبة شائبة، – وانه أصيل في العرب (Alasad ،1988)

الخلاصة:

- ان الهدف الرئيسي من الحركة الاستشراقية هو الهدف الديني.
- العلاقة بين اللغة العربية والشريعة الاسلامية علاقة متصلة ولا يمكن الفصل بينهم.
- محاولة التشكيك في القرآن الكريم وصحتة وأنه من تأليف النبي علية الصلاة والسلام.
- أخذ الآحاديث الضعيفة والمنحولة وطرحها للنقاش والدراسة واتهام النبي علية الصلاة والسلام انه اخذ هذه العلوم عن الامم الاخرى عن اليهودية والنصرانية.
- الشعر الجاهلي قالوا عنه شعر منحول وانه من زمن عاد وثمود وان كثير من الاشعار تم دسها بما يتناسب مع القراعد اللغوية ومن اجل اثاتيها تم نسبها إلى شعراء مشهورين .
- اعتمادهم على التدوين كان سسب كاف لهم للتشكيك في صحة القران الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي.

المراجع

Al-Quran.

Semitic languages, Turkish and Persian in the period from 1920 to 1924 and graduated at the hands of the German Orientalist Eetman. aamady two years in Cairo (1925-1926), it was his interest initially popular literature but turned attention to Arabic and Islamic studies and in particular The Holy Quran.

Margelyoth, Defed.(1925). Targamat Abd Alrahman Badawi.

Alsamiraet, Ibrahim. (1966). Muhad Albohoth Wa Aldirasat Alarabiah.

Agaj, Muhamad.(1979). Alsonah Alnbaweeh Gabel Altadween.

Albahnaswai, Salim Ali. (1979). Alsonah Almoftra Aliha.

Aladami, Muhammad Mustafa.(1980). Dirasat Fi Alhadith Alnabawi Wa Tarikoh Wa Tadweenoh.

Suorthon,Retchard.(1984). Suorah Alislam Fi Ouroba Fi Alousor Alwesta.

Shaker, Mahmood. (1987). Resalh Fi Altareeg Ela Thagaftana. Dar Almadani, Jadah.

Alasad, Naser Aldeen. (1988). Masader Alsher Aljahili Wa Gemateha Altarekeh. Dar Almaarf, Eygept.

Bill, Retchard. (1989). Alislam Almutadarf. Barees .Tabaat Aljemari.

Alhaj, Sasi Ali.(1990). Aldahirah Alistishragih.

Jaber, Yahya Abd Alraoof.(1992). Alshawahed Allogaweeh.Majalat Alabhath Lilnagah.Almujalad Althani, Aadad Alsadis.

Alshafagi, Muhammad. (1995). Alfikir Alislami Fi Mowajahat Alhadarh Algarbiah.

Aldusogi, Muhammad. (1995). Alfiker Alestshragi Tarekoh Wa Tagweemoh. Dar Alwafaa, Almnsorah

Mtabghani, Mazen.(1995). Alasctrac intellectual trends in Islamic history. Riyat:Maktabit Al maik fahad

Zaqzouq, Hamud Hamdi. (1997). Alistshrag wa Alkalfih Alfikrih Lilsiraa Alhudari.Dar Almuaarf, Algahirah.

Azoni, Hassan.(1999). Dirasat Fi Alistishrag Wa Mahijoh. Matbaat Anfo, fas.

Alagigi, Najeeb.Almustashrogon. Dar Almuaarf, Algahirah.

Abd Alrahman, Ahmad. (2002). Men Aktaa Almustashregeen Wa kadyahom. Maktabat Wahbah, Algaherah.

Wat, Mongomri. (2002). Muhammad Fi Makaah.Trjamat Abd Alrahman Badawi. Alhuiaah Almasriah Alaamah Lilkitab.

Glab, Abulkareem. (2008). Natharat Istishrageh Fi Islam. Dar Almaaref , Algaherah.

Albagdadi, Alkateeb. (2009). Tahgig Saeed Abd Algafar Ali.

Daraz, Muhammad Abdulah. (2010). Madkal Ila Alguraan.

Gurab, Ahmad.(2010). Rouah Eslamih Lilestishrag. Almuntada Alislami, London.

Allibdi, muhammed Sameer.(2011). Mujam Almustalahat Alnahwyah Wa Al Sarfiah.Dar Alfurgan.

Zagzog,Mahmood Hamdi. (1404). Al-Estishrag Wa Al-Halfieah AL-Fikroeah Lilsirass Al-Hadari. Cairo, Egypt.

Azoni, Mahmood Hamzah. (1405). Nagdiah Likitab Aldawah Ela Alislam. Almagalah Alslamiah, Almadinah.

Tibawi, Abd Alatif.(1410). Almustshrogoon Alnatigon Belogah Alengilesiah. Targamat Qasim Alsamiraei, Alryad. Althagafh Jamiaat Alemam.

Journal

Middle East magazine. (2001). Release 8340.

Okaz newspaper. (1415). Release 10358.